مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الثامن عشر، العدد الثاني،
ص - 409 ص 456 يونيو2010
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

مخطوط الكلام على الغوث والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال والنجباء والقلندرية والواسطة بين الخلق والحق

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني طيب الله ثراه

دراسة وتحقيق

أ.د. جابر زايد السميري و أ. حسن نصر بظاظو
كلية أصول الدين – قسم العقيدة
الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين

ملخص: يؤكد هذا المخطوط على ضرورة تحقيق التوحيد الخالص الله، وعدم اشابته بأدران الشرك التي قد تتمثل في اتخاذ وسائط كالأصنام والأحجار والغوث والأوتاد وغيرها مما اتخذه بعض أهل التصوف في عباداتهم ، فيبن المخطوط بوضوح وبأدلة الخلل الذى يلحق اعتقاد من جعل بين الخالق والمخلوق وسائط يلجأ إليها ، كحال من اتخذ الأقطاب أو الأبدال أو النجباء يستغيث بهم، ويطلب منهم التوسط عند الباري لقضاء الحوائج أو تبديل الحال ، والصحيح الذى لابد منه في الاعتقاد المقبول عند المعبود: هو خلع هذه الوسائط جميعا والرمي بها ؛ لأنها تمثل الطاغوت الذى أمرنا أن نكفر به.

Manuscript Talk about relief, pickets and four poles and seven substitutes and Nagaba and Kulndrip The medium between creation and the right

Abstract: This manuscript emphasizes the need to achieve uniformity pure God And non-Achapth Bodran trap which might be to take the media guilty of major shirk and stones and relief, pickets and others taken by some of the Sufis in the worship Phippn manuscript evidence clearly and disruptions of thought to make between the Creator and the creature and the media resorted to, as when taken from the poles or replacement or Nagaba pleading with them, asking them to mediate at Bari to meet her needs Ootbdel case, the right upon which the accepted belief in god: is Gla all these arguments, throwing them; because it represents a tyrant who ordered us to disbelieve him.

المقدمة

إن الحمد الله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فإن علم العقيدة من أشرف العلوم وأجلها، وقد أورثه الله عز وجل – من هذه الأمة – من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وبرع فيه من علماء الإسلام علماء أفذاذ، فتركوا لنا كنوزا ثمينة، تستحث الهمم لإخراجها إلى النور قبل أن تأتي عليها الأيام وتحتاج إلى دراسة متأنية، لتمييز الغث من السمين، الذي يجب أن نطلع عليه لنقف على صورة أكثر وضوحا لفهم النص كما تركه مؤلفه.

وبعد بحث ليس بالقصير، ألقيت عصا الترحال، عند علم من الأعلام البارزين في تاريخ أمتنا، ألا وهو الإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الذي برز في عدة فنون من العلم، فقد وقع له بين يدي مخطوطة قيمة اسمها (الكلام علي الغوث والأوتاد الأربعة و الأقطاب السبعة والأبدال والنجباء والقلندرية والواسطة بين الخلق والحق) جمع فيها من الفوائد والفرائد الشيء الكثير، فعقدت العزم على تحقيقها، وإخراجها إلى الوجود، كي ينتفع به في مجال الحياة.

فمضيت مستعينا بالله – عز وجل – في البحث الذي اقتضت طبيعته أن يكون على قسمين:

القسم الأول

الدراسة

أما الدراسة فقد قسمتها إلى مطلبين ومسائل:

المطلب الأول:

التعريف بالمؤلف وفيه مسائل:

الأولى: اسمه ونسبه.

الثانية: كنيته.

الثالثة: لقبه.

الرابعة: ولادته ووفاته.

الخامسة: طلبه للعلم ورحلاته.

السادسة: مؤلفاته.

السابعة: ثناء العلماء عليه.

المطلب الثاني:

الدراسة التحليلية للمخطوطة، وفيه مسائل :

الأولى: مصادر الكتاب (المخطوطة).

الثانية: منهج المؤلف في كتابه.

الثالثة: أهمية المخطوطة.

الرابعة: التوثيق والنسبة.

الخامسة: وصف النسخ.

السادسة: فوائد وفرائد تستنتج من المخطوطة.

القسم الثاني

التحقيق

أما القسم الثاني: وهو التحقيق، فإن منهجي فيه كان كالآتي:

محرم – مقابلة النسخ، مع اعتماد النسخة (ا) نسخة المخطوطة كأصل، ونسخة (ب) وهي مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى موزعة في الأجزاء التالية الجزء الحادي عشر من صفحة ربيع أول ربيع أول ربيع ثان إلي صفحة ربيع ثان ربيع ثان ربيع ثان، والجزء الخامس والثلاثين صفحة ربيع أول جمادي ثان محرم والجزء الأول من صفحة صفر صفر محرم إلي شعبان ربيع أول محرم وبيان الفوارق بينهما في الهامش.

صفر – عزو الآيات الكريمة إلى سورها، مع ترقيمها.

ربيع أول – تخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة المعتمدة، وبيان الحكم إن أمكن عليها كما نص عليه علماء الحديث.

ربيع ثان – التعليق أحيانا على بعض ما اختاره المؤلف ببعض ما ذكره غيره إما موافقة وتعضيدا وهو الغالب، وإما مخالفته مع بيان الصواب.

جمادي أول– بيان معاني ما جاء غريبا من الألفاظ وتحتاج إلى توضيح هذا، وما فاتني تحقيقه في موضع، قمت باستدراكه في موضع آخر، وهذا جهد المقل ولم يجعل الله العصمة لأحد من خلقه إلا لرسوله ولا الكمال إلا لكتابه فأستغفر الله من كل خطأ أو زلة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

جمادي ثان– وقد وضعت عناوين بين [....] لبيان ما في المخطوط.

القسم الأول

الدراسة

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف وفيه مسائل:

الأولى: اسمه ونسبه

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد [1]

الثانية: كنيته

تقي الدين أبو العباس

الثالثة: لقبه

شيخ الإسلام

الرابعة: ولادته ووفاته

ولد يوم الاثنين بحران في العاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، وتوفي في يوم الاثنين في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة في سجن دمشق ،وكان عمره شعبان جمادي ثان عام.

وشهد جنازته العلماء والعامة والصغار والكبار حتى خرجت النساء تبكيه حتى صرخ أحدهم من شدة تزاحم الخلق في جنازته، هكذا تكون جنازة أهل السنة [2].

الخامسة: طلبه للعلم ورحلاته

سمع الشيخ بدمشق من ابن عبد الدايم، وابن أبي اليسر، وابن عبد، والمجد بن عساكر، ويحيى ابن الصيرفي الفقيه، وأحمد بن أبي الخير الحداد، والقاسم الأربلي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والمسلم بن علان، وإبراهيم بن الحرجي، وخلق كثير وعنى بالحديث.

وسمع" المسند" مرات، والكتب الستة، ومعجم الطبراني الكبير، وما لا يحصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره، فأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، والشيخ زين الدين بن المنجا.

---

(1)ذيل طبقات الحنابلة - (ج 1 / ص 338).

(2) انظر الأعلام للزركلي – ج144/1.

وبرع في ذلك، وناظر. وقرأ في العربية أياما على سليمان بن عبد القوي، ثم أخذ كتاب سيبويه، فتأمله ففهمه. وأقبل على تفسير القرآن الكريم، فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون العشرين سنة، وأفتى من قبل العشرين أيضا، وأمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبطء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئا فينساه.

وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة صفر محرم رجب هـ (3).

السادسة: مؤلفاته

محرم- إثبات الصفات والعلو والاستواء مجلدين.

صفر- إثبات المعاد والرد على بن سينا.

ربيع أول- الاجتماع والافتراق في مسائل الإيمان والطلاق.

ربيع ثان- الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية.

جمادي أول- اقتضاء الصراط المستقيم في رد على أهل الجحيم.

جمادي ثان- بيان تلبيس الحميمة في تأسيس بدعهم الكلامية.

رجب- بيان الدليل على بطلان التحليل.

شعبان- بيان الفرقان بين أولياء الرحمن وحزب الشيطان.

رمضان- التحرير في مسألة جفير.

شوال محرم - التحفة العراقية في الأعمال القلبية.

محرم محرم- التحقيق في الفرق بين أهل الأيمان والتطليق.

صفر محرم- التخجيل لمن بدل التوراة والإنجيل.

ربيع أول محرم- تعارض العقل والنقل. تفسير الاستعاذة والبسملة.

ربيع ثان محرم- تفسير آية الكرسي.

جمادي أول محرم- تفسير سورة الإخلاص.

جمادي ثان محرم- تفسير سورة الكافرون تفسير سورة لم يكن.

---

(3) الأعلام للزركلي - (ج محرم / ص ربيع ثان ربيع ثان محرم)

رجب محرم- تفسير سورة المائدة.

شعبان محرم- تفسير سورة ن والقلم.

رمضان محرم- تفسير سورة تبت والمعوذين مجلدا واحدا.

شوال صفر- تناسي الشدائد في اختلاف العقائد.

محرم صفر- تفضل صالحي لناس على سائر الأجناس.

صفر صفر- تنبيه الرحل الغافل على تمويه الجدل الباطل.

ربيع أول صفر- تيسير العبادات لأرباب الضرورات.

ربيع ثان صفر- ثبوت النبوات عقلاء ونقلا والمعجزات والكرامات.

جمادي أول صفر- جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية.

جمادي ثان صفر- جواب أهل العلم والإيمان في تفسير القرآن.

رجب صفر- الجواب الباهر في زوار المقابر.

شعبان صفر- الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح أربع مجلدات.

رمضان صفر- جوامع الكلم في الحديث.

شوال ربيع أول- الدرة المضية في فتاوى ابن تيمية.

محرم ربيع أول- بيان فضل خيار الناس والكشف عن منكر الوسواس في ذم الوسواس.

صفر ربيع أول- الرد على الفلاسفة رفع الملام عن الأئمة الإعلام.

ربيع أول ربيع أول- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.

ربيع ثان ربيع أول- شرح أول كتاب الغزنوي في الفقه.

جمادي أول ربيع أول- شرح أول المحصل مجلدا واحدا.

جمادي ثان ربيع أول- شرح بضعة عشر مسألة من الأربعين لفخر الدين.

رجب ربيع أول- شرح جبريل في حديث الأيمان والإسلام في مجلد.

شعبان ربيع أول- شرح حديث فحج آدم موسى.

رمضان ربيع أول- شرح رسالة ابن عبدوس في الأصول.

شوال ربيع ثان- شرح عقيدة الأصبهاني.

محرم ربيع ثان- شرح العمدة لموفق الدين في الفقه أربع مجلدات

صفر ربيع ثان- شرح المحرر للإمام أحمد بن حنبل.

ربيع أول ربيع ثان- شمول النصوص للأحكام في الفقه.

ربيع ثان ربيع ثان- الصارم المسلول على شاتم الرسول.

جمادي أول ربيع ثان عصمة الأنبياء الفرقان بين الحق والبطلان.

جمادي ثان ربيع ثان - فضائل أبي بكر وعمر

رجب ربيع ثان- كتاب الاستعانة

شعبان ربيع ثان- كتاب الاستقامة مجلدين.

رمضان ربيع ثان- كتاب الإيمان مجلدا.

شوال جمادي أول- كتاب الرد على تأسيس التقديس للرازي.

محرم جمادي أول- كتاب العرش.

صفر جمادي أول- كتاب المحنة المصرية مجلدان.

ربيع أول جمادي أول- كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية.

ربيع ثان جمادي أول- الكلم الطيب في الركعتين اللتين تصنع قبل الجمعة.

جمادي أول جمادي أول- لمحة المختلف في الفرق بين اليمين والخلف.

جمادي ثان جمادي أول- المسائل الإسكندرية على الحلولية والاتحادية بالسبعينية.

رجب جمادي أول- المسألة الخلافية في الصلاة خلف المالكية

شعبان جمادي أول- معارج الوصول إلى أن أحاكم الإجماع بينها الرسول.

رمضان جمادي أول- مناسك الحج.

شوال جمادي ثان- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية.

محرم جمادي ثان- نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان (4).

السابعة: ثناء العلماء عليه

قال الذهبي في معجمه المختصر: "كان إماما متبحرا في علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الإدراك، سيال الفهم، كثير المحاسن، موصوفا بفرط الشجاعة والكرم، فارغا عن شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه. " (5)

---

(4)هداية العارفين - (ج 1 / ص 56).

(5)ذيل طبقات الحنابلة - (ج 1 / ص 339).

قال محقق السير الشيخ شعيب الأرناؤوط: "أما ابن تيمية، فكانت شخصيته قد اكتملت منذ أن كان الذهبي شابا في أول طلبه العلم، وكان قد أصبح مجتهدا، له شخصيته الخاصة التي تقوم في أصلها على اتباع آثار السلف." (6)

قال ابن كثير: "قال الشيخ محمد بن قوام: قرب إلى الجماعة طعاما فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقيل له ألا تأكل ؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس، قال: ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه" اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فأخذ له وزلزله ودمره وأقطع دبره" قال: وقازان يؤمن على دعائه، ويرفع يديه . قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله. قال: فلما خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال: وأنا والله لا أصحبكم.

قال: فانطلقنا عصبة وتأخر هو في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به والخواقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قال والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلثمائة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذي أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعه من التتر فشلحوهم عن آخرهم، هذا كلام أو نحوه، وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره". (7)

المطلب الثاني: الدراسة التحليلية للمخطوطة ، وبياناتها:

الأولى: **عنوان المخطوط ومصادره** :" الكلام على الغوث والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال والنجباء والقلندرية والواسطة بين الخلق والحق "

هي نسخة مصورة من نسخة مكتبة الغازي خسرو بك بمدينة ألبوسنا سراييفو ، بتاريخ شعبان صفر/ رمضان/ شوال رمضان رمضان محرم م الموافق رمضان/ ربيع أول/ محرم محرم ربيع ثان محرم ه وعدد أوراقها (شعبان) وهي ضمن إدارة المخطوطات بالوزارة الكويتية (صفر جمادي ثان رمضان صفر) رقم الحفظ (صفر جمادي ثان محرم)

(6)أعلام النبلاء – (ج 1 / ص 36).

(7)البداية والنهاية – (ج 14 / ص 102).

الثانية: منهج المؤلف في كتابه: يعتمد على منهج تثبيت المعلومة والرد علي شبهات المخالفين وذلك من خلال الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والرجوع إلى أقوال السلف والإجماع

الثالثة: أهمية المخطوطة

وترجع أهميتها لأمرين عظيمين وهما:

الأول: كونها تبحث في مجال العقيدة وتحقيق التوحيد. وبيان خطورة الشرك وآثاره السيئة.

الثاني: كونها لعالمين جليلين مشهود لهما بالفضل وهما:

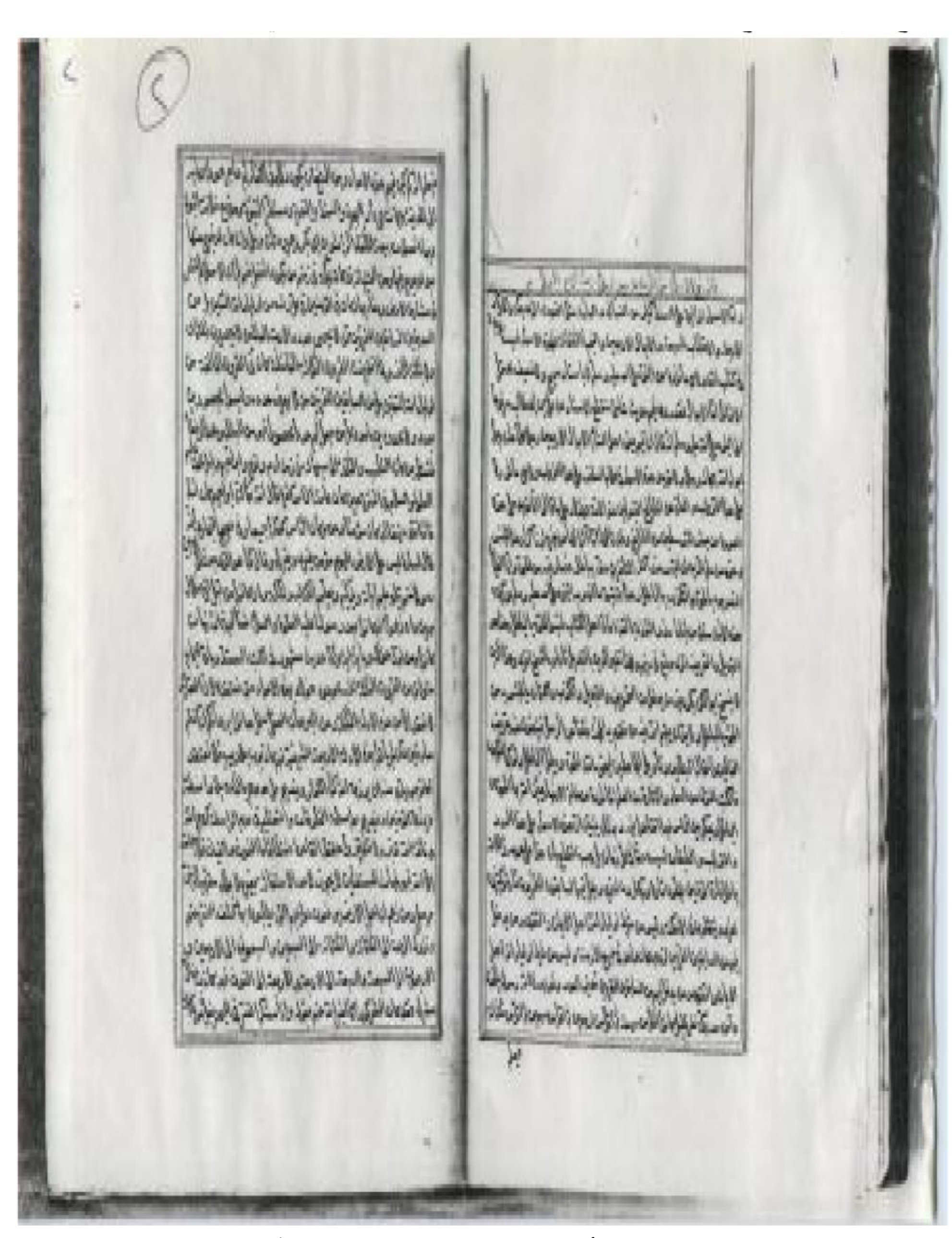
الأول: شيخ الإسلام بدون منازع ابن تيمية طيب الله ثراه.

والثاني: سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله وأبقى سيرته.

الرابعة: التوثيق والنسبة ثبتت نسبة هذه المخطوطة إلى ابن تيمية لأنها ضمن مجموع الفتاوى موزعة في الأجزاء التالية الجزء الأول ص ربيع أول ربيع أول ربيع ثان إلي صفحة ربيع ثان ربيع ثان ربيع ثان ،والجزء الخامس والثلاثين صفحة ربيع أول جمادي ثان محرم والجزء الأول من صفحة صفر صفر محرم إلي صفر ربيع أول محرم وكذلك نسبتها إلى العز بن عبد السلام (الواسطة) وهي جزء من المخطوطة المذكورة حيث نص ابن تيمية أنه نقلها عن العز بن عبد السلام (8). فهي عبارة عن ثلاثة أقسام الأول في مراتب الصوفية والثاني يتكلم عن فرقة القلندرية والقسم الثالث عبارة عن قاعدة الواسطة للعز ابن عبد السلام كما أثبتها بقوله" نقل" وهي ضمن مؤلفاته ،وجاءت متفرقة ضمن مجموع الفتاوي، ومما يدلل أنها له، عدد ورقاتها "شعبان" ورقات

الخامسة: وصف نسخ المخطوط عبارة عن نسختين الأولي مخطوطة يرمز لها (أ) والثانية مطبوعة ويرمز لها (ب) المخطوطة الصفحة الأولي منها ربيع ثان صفر سطر والثانية رجب صفر والأخيرة رجب محرم مع العلم أن جميع الصفحات عدد أسطرها رجب صفر ما عدا الأولى والأخيرة

(8) انظر ص25.



الصفحة الأولى من المخطوط النسخة (أ)



الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

السادسة: فوائد وفرائد تستنتج من المخطوطة

محرم – إنه يذكر فيها مراتب الصوفية ويرد عليهم، على أن هذه المراتب ليس لها أصل في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

صفر– يظهر فيها شخصية الشيخ رحمه الله على أنه يجمع ويحقق أقوال العلماء، ثم يرجح الصواب منها.

ربيع أول– يذكر أن شرط أولياء الله هو الإيمان والتقوى.

ربيع ثان– يثبت أن العقائد لا تعتقد إلا من ثلاث مصادر: القرآن والسنة والإجماع المتواتر من القرون الثلاثة، ثم البرهان العقلي.

جمادي أول– يثبت أن لفظ الغوث والغياث لا يستحقه إلا الله، ونسبته إلى غير الله شرك ، وأن الله عز وجل ليس بينه وبين عباده أي حجاب أو وسائط في هذه الدنيا.

جمادي ثان– يرد على الروافض في قولهم بوجود الإمام المعصوم، ويرد على قولهم بأن الإمام الحسن العسكري داخل السرداب وسيعود.

رجب – يذكر فضل العلماء وأهميتهم، حيث أن الله عز وجل جعلهم كالأوتاد ليثبت بهم العلم على الأرض وأنهم غير محصورين بعدد معين أو زمن معين.

شعبان– يرد على من قال بلفظ خاتم الأولياء بأن ذلك ليس له أصل وأنه من كلام الزنادقة والمتصوفة.

رمضان– يعرف فرقة القلندرية ويذكر ما عندهم من عقائد ، ويحكم عليهم بأنهم من أهل الضلالة والجهالة.

شوال محرم– يضع تعريف لأهل البدع ، وهم الذين خرجوا عن الهدى ودين الحق ، الذي بعث الله به رسوله صلي الله عليه وسلم ، ولا يقروا بجميع ما أخبر الله به على لسان رسوله صلي الله عليه وسلم، ولا يحروموا ما حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أو يدينوا بدين يخالف الدين الذي بعث الله به رسوله صلي الله عليه وسلم ، باطنا وظاهرا ، ويذكر أمثلة على ذلك.

محرم محرم – يذكر السبب الذي أدى إلى ظهور مثل هؤلاء ، وهو قلة أهل العلم.

صفر محرم– يقرر فيها مجال العقيدة وتحقيق التوحيد.

ربيع أول محرم – يبين فيها خطورة الشرك وآثاره السيئة.

ربيع ثان محرم– يعرف الشفاعة الجائزة ويدلل عليها من القرآن والسنة وكلام السلف.

جمادي أول محرم– يذكر حكم الإجماع على أنه مصدر من مصادر التشريع ، وأنه حجة قاطعة.

جمادي ثان محرم– يذكر الفروق التي تكون بين الخالق والمخلوق من عدة وجوه.

17– يذكر أنه لا توجد شفاعة للمشركين، ولا يجوز الدعاء لهم بالمغفرة، وأن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الرحمن ورضاه، قال تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) (9) (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (البقرة/ 255) (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) (الأنبياء / 28) .

شعبان محرم – فيها جواز واستحباب دعاء المؤمنين لبعضهم بعضا.

رمضان محرم – يفصل الفرق بين نعم الدنيا والدين، ويقول أن النعمة بالإيمان والطاعة.

شوال صفر– يبين كيف بين الله التوحيد وحسم مواد الشرك وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم .

محرم صفر– ختمها بأن الشريعة جاءت لتحصيل المصالح للناس.

(9) عم – آية 38.

القسم الثاني

التحقيق

القسم الأول من المخطوط

مراتب الصوفية

[ليس اسم الغوث والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين والنجباء الثلاثمائة موجود في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام السلف والمشايخ المقبولين حصرهم باطل]

أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي بمكة و الأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة و الأبدال الأربعين و النجباء الثلاثمائة:

فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله [تعالى [10]] ؛ ولا هي [أيضا [11]] مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح ولا ضعيف [محتمل [12] ألفاظ] ، [أما الأبدال] [13] فقد روي فيهم حديث شامي منقطع [14] الإسناد عن علي بن أبي طالب [رضي الله عنه [15]] [16] إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: { إن فيهم – يعني أهل الشام –الأبدال الأربعين رجلا كلما مات رجلا بدل الله [تعالى] [17] مكانه رجلا } [18] ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف [كما هي [19]] على هذا الترتيب ؛ ولا هي

(10)تعالى ساقطة من النسخة أ.

(11)ساقطة من النسخة أ.

(12)في النسخة (ب) يحمل عليه ألفاظ الإبدال.

(13)جاء في مصنف عبد الرزاق 249/11 فقال علي:(لا تسب أهل الشام جما غفيرا فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال) وفي رواية (البدلاء بالشام الحديث قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا شريح بن عبيد وهو ثقة 62/1 وهذا الحديث أخرجه أحمد انظر السلسلة الضعيفة للألباني.

(14)المنقطع هو الموقوف على التابعي قولا له أو فعلا (تدريب الراوي ص 124).

(15)ساقطة من النسخة أ.

(16)الحديث المرفوع هو كل حديث نسب للنبي صلي الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقرير أو صفة(تيسير علوم الحديث ص 99).

(17)ساقطة من النسخة أ.

(18)أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة 214/4 رقم1675 باب لا تسب أهل الشام وتمامة (يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء.. "عن على بن أبي طالب وفي رواية عن علي عند ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء 12/1 رقم 8 قال:(هم ستون رجلاً) وذكر صفات الأبدال في كتابه السابق 79/1 رقم57.

(19)ساقطة من النسخة أ.

مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين [عند الأمة فهؤلاء على ما قالو أنها (20)] توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ ؛ وقد قالها إما آثرا لها عن غيره أو ذاكرا.

[في هذه الأمة من يحرف ويلبس الحق بالباطل، والعلم يميز ذلك]

وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين (21) حقه بباطله فصار فيه [من الحق ما يوجب قبوله ومن الباطل ما يوجب رده وصار كثير من الناس على طرفي نقيض. قوم كذبوا به كله لما وجدوا فيه من الباطل ، وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق (22)] وإنما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل وهذا تحقيق ما أخبر به النبي عليه السلام { عن ركوب هذه الأمة سنن من قبلها حذو القذة بالقذة (23)} فإن أهل [الكتاب (24)] لبسوا الحق بالباطل [وهذا التبديل (25)] والتحريف الذي وقع في دينهم ؛ ولهذا [تغير (26)] الدين بالتبديل تارة ، وبالنسخ أخرى، وهذا الدين لا ينسخ أبدا ؛ لكن يكون فيه من يدخل من التحريف والتبديل والكذب والكتمان ما يلبس به [من (27)] الحق بالباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من [تقم (28)] به الحجة خلفا عن الرسل؛ فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون. فالكتب المنزلة من السماء، والأثارة من العلم المأثورة عن خاتم الأنبياء يميز الله بها الحق من الباطل، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

---

(20)في النسخة (ب) عند الأمة قبولا عاما وإنما.

(21)يقصد بهم علماء الكلام.

(22)ساقطة من النسخة أ.

(23)أشار المؤلف إلي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة. رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والحديث ليحملن شرار هذه الأمة علي سنن الذين خلو من قبلهم من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة. رواه أحمد والطبراني ورجاله مختلف فيهم (مجمع الزوائد 516/7). وقال شعيب الأرناؤوط :إسناده ضعيف وباقي رجاله ثقات والحديث الصحيح "ليحملن شرار هذه الأمة " انظر السلسلة الصحيحة للألباني حديث رقم 3312.

(24)في النسخة ب : الكتابية.

(25)في النسخة (ب) وهذا هو التبديل.

(26)في النسخة (ب) يتغير.

(27)ساقطة من النسخة ب.

(28)في النسخة (ب) تقوم.

[الرد على القائلين بهذه المراتب]

وبذلك يتبين أن هذه الأسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست حقا في كلّ زمان، بل يجب القطع بأن هذا على عمومه وإطلاقه باطلٌ؛ فإن المؤمنين يقلون تارة، ويكثرون أخرى، ويقلّ [فيهم (29)] السابقون المقربون (30) تارة ويكثرون أخرى و [ينتقلون (31)] في الأمكنة.

[1- عدم توفر العدد في زمان]

وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة.

[2-عدم توفرهم في مكان]

وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين تعيين العدد. وقد بعث الله رسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قليلٌ كانوا أقلّ من سبعة ،ثم أقلّ من أربعين ، ثم أقلّ من سبعين ، ثم أقلّ من ثلاثمائة، فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الأعداد، ومن الممتنع أن يكون ذلك في الكفار ثم هاجر هو وأصحابه إلى المدينة، وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة، ومستقر النبوة، وموضع خلافة النبوة، وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، [رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (32)] وإن كان قد خرج منها بعد أن بويع فيها؛ ومن الممتنع أنه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم.

[3- الأولياء لا يحصرهم عدد]

ثم إن الإسلام [انتشر (33)] في مشارق الأرض ومغاربها وكان في المؤمنين في كلّ وقت من أولياء الله المتقين؛ بل من الصديقين السابقين المقربين ممن لا يحصي عدده إلا رب العالمين لا يحصرون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف ولما انقرضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون [الخالفة (34)] من أولياء الله المتقين ؛ بل من السابقين المقربين من لا يعرف عدده وليسوا بمحصورين بعدد ولا محدودين بأمد وكل من جعل لهم عددا

(29)في النسخة أ : فيها.

(30)يقصد بهم الصحابة والتابعون.

(31)في النسخة أ : يتنقلون.

(32)ساقطة من النسخة أ.

(33)في النسخة (أ) المنتشر.

(34)في النسخة (ب) الخالية.

محصورا فهو من المبطلين عمدا أو خطأ فنسأله من كان القطب (35) والثلاثة إلى سبعمائة في زمن آدم ونوح وإبراهيم وقبل محمد عليهم الصلاة والسلام في الفترة حين كان عامة الناس كفرة قال الله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) (36) أي كان مؤمنا وحده وكان الناس كفارا جميعا.

[4- من هم في زمن الأنبياء والمرسلين]

وفي صحيح البخاري { أنه قال لسارة: ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك (37)} وقال [الله (38)] تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (39)

[5- ليست هذه الأسماء في الكتاب والسنة والإجماع والعقل يردها]

وإن زعموا أنهم كانوا بعد رسولنا عليه [الصلاة (40)] والسلام نسألهم في أي زمان كانوا ؟ ومن أول هؤلاء ؟ وبأية آية ؟ [وبأي (41)] حديث مشهور (42) في الكتب الستة (43)؟ وبأي إجماع متواتر (44) من القرون [ثبت (45)] وجود هؤلاء بهذه الأعداد حتى نعتقده؟ لأن العقائد لا تعتقد إلا من هذه الأدلة الثلاثة (46)

---

(35)القطب عند الصوفية هو: عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحامل مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها.

القطبية الكبرى، هي مرتبة قطب الأقطاب، وهو باطن نبوة محمد عليه السلام، فلا يكون إلا لورثته، لاختصاصه عليه بالأكملية، فلا يكون خاتم الولاية، وقطب الأقطاب الأعلى باطن خاتم النبوة (التعريفات– 178).

(36)النحل 120.

(37)أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالي واتخذ الله إبراهيم خليلا حديث رقم 3358.

(38)لفظ الجلالة ساقط من النسخة (أ).

(39)الجمعة 2.

(40)ساقطة من النسخة (ب).

(41)في النسخة (أ) وأي.

(42)الحديث المشهور وهو ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين لم يبلغ حد التواتر (تدريب الراوي ص 350).

(43)هي صحيح البخاري وصحيح ومسلم وسنن الترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن ابن ماجة.

(44)والمتواتر هو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم من أوله إلي أخره (تدريب الراوي ص 352)

(45)في النسخة (أ) تثبت.

(46)ويقصد بالثلاثة أي القران والسنة والإجماع.

ومن البرهان العقلي (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [47] فإن لم يأتوا بهذه الأدلة الأربعة الشرعية فهم كاذبون بلا ريب فلا نعتقد أكاذيبهم.

[6- يلزم لرزق ونصرتهم الواسطة ولا يلزم الكفار]

ويلزم منه أن يرزق الله [سبحانه [48]] وتعالى الكفار وينصرهم على عدوهم بالذات بلا [واسطة [49]] ويرزق المؤمنين وينصرهم بواسطة المخلوقات والتعظيم في عدم الواسطة كروح الله وناقة الله. تدبر ولا تتحير.

[لفظ الغوث والغياث لا يستحقه إلا الله ، ونسبته إلى غيره شرك]

واحفظ القاعدة حفظا فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين [فلا [50]] يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا [بملك [51]] مقرب ولا نبي مرسلٍ. ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك فقد كان المشركون كما أخبر الله [تعالى [52]] عنهم بقوله: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ)[53] وقال [سبحانه [54]] وتعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) [55] . فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب ؟ وهو القائل تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [56]وقال إبراهيم عليه السلام داعيا لأهل مكة: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ

(47)البقرة 111.
(48)ساقطة من النسخة (أ).
(49)في النسخة (ب) الواسطة.
(50)في النسخة (أ) لا.
(51)في النسخة (أ) ملك.
(52)ساقطة من النسخة (أ).
(53)الإسراء 67.
(54)ساقطة من النسخة (أ).
(55) النمل 62.
(56)البقرة 186.

وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) [57] وقال النبي [صلى الله عليه وسلم [58]] لأصحابه لما رفعوا أصواتهم [بالتكبير [59]] { أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا وإنما تدعون سميعا قريبا؛ إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته [60]} وهذا باب واسع.

[8- لا واسطة بين الله وخلقه ولا عصمة لأحد غير الأنبياء]

وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى الله حوائجهم لا ظاهرا ولا باطنا بهذه الوسائط والحجاب فتعالى الله عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك وسائر ما يقوله الظالمون علوا كبيرا وهذا من جنس دعوى الرافضة [61]، أنه لا بد في كلّ زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به ثم مع هذا يقولون إنه كان صبيا دخل السرداب [من أكثر [62]] من أربعمائة وأربعين سنة [63] ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خبر.

[9- هذه الألعاب تشبه الرافضة والباطنية]

وهؤلاء الذين يدعون هذه [المراتب [64]] فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه؛ بل هذا الترتيب والأعداد [يشبه [65]] من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية [66] والنصيرية [67] ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس [والجسد] [68] وغير ذلك من الترتيب الذي ما [أنزل [69]] الله به من سلطان.

---

(57)إبراهيم 37 – 39.

(58)في النسخة (ب) : عليه السلام.

(59)في النسخة (ب) : بالذكر.

(60)أخرجه الإمام احمد في مسنده عن أبي موسى 426/42 قال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين ، والنسائي في سننه الكبرى 4/ 398 عن أبي موسى وأصله في البخاري 100/14 ومسلم 221/17.

(61)الرافضة هم الذين نصروا عليا وحاربوا معه وقدموه علي عثمان ثم تطورت هذه الفرقة حتى أصبحت تشكل طوائف كثيرة لها عقائدها المستقلة ومناهجها المتميزة وقال الرازي سموا بذلك لأن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب خرج علي هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا فارس فقال لهم زيد بن علي رفضتموني فقالوا نعم وهم طوائف منها الزيدية (انظر الملل والنحل 149/1 ،وانظر مقالات الإسلاميين 19).

(62)في النسخة (أ) بأكثر.

(63)ومقصد ابن تيمية رحمه الله في زمانه ، أما الآن فيكون بعد ألف ومائتي سنة تقريبا ، والله أعلم.

(64)في النسخة (أ) : المرات.

(65)في النسخة (ب) تشبه.

(66)الإسماعيلية هم الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر وزعموا أن الإمامة لابنه إسماعيل وافترقوا فرقتين منهم منتظرة لإسماعيل ومنهم من قال أنه نصب ابنه إسماعيل (الفرق بين الفرق 62).

(67)النصيرية: هم اقدم فرق الغلاة من الروافض قالوا بتأليه علي والشهادة عندهم أن لا إله إلا علي بن أبي طالب وقالوا إن علي خلق محمدا وهم يعتمدون على كل رموز النصرانية وينقسمون إلى عامة وخاصة (موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب 653، 654).

[10- إن صح استعمال الوتد فالمراد مغاير لمرادهم]

وأما الأوتاد فقد يوجد في كلام البعض أنه يقول: فلان من الأوتاد يعني بذلك أن الله تعالى يثبت به الإيمان والدين في [قلوب (70)] من يهديهم الله به كما يثبت الأرض بأوتادها وهذا المعنى ثابت لكلّ من كان بهذه الصفة من العلماء فكلّ من حصل به تثبيت العلم والإيمان في جمهور الناس كان بمنزلة الأوتاد العظيمة والجبال الكبيرة ومن كان بدونه كان بحسبه.

[11- حصرهم في عدد تشبه بالمنجمين]

وليس ذلك محصورا في أربعة ولا أقلّ ولا أكثر بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة بقول المنجمين (71) في أوتاد الأرض.

وأما القطب فيوجد أيضا [في (72)] كلامهم فلان من الأقطاب أو فلان قطب فكلّ من دار عليه أمر من أمور الدين أو الدنيا باطنا أو ظاهرا فهو قطب ذلك الأمر ومداره سواء كان الدائر عليه أمر [داره أو دربه (73)] أو قريته أو مدينته أمر دينها أو دنياها باطنا أو ظاهرا ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل [إن (74)] لا أكثر ؛ لكن الممدوح من ذلك من كان مدارا لصلاح الدنيا والدين دون مجرد صلاح الدنيا؛ فهذا هو القطب في عرفهم [فقد (75)] يتفق في بعض الأعصار أن يكون شخص أفضل أهل عصره وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله سواء ولا يجب أن يكون في كلّ زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقا.

وكذلك لفظ" البدل " جاء في كلام كثير منهم فأما الحديث (76) المرفوع فالأشبه أنه ليس من كلام النبي [صلى الله عليه وسلم (77)] فإن الإيمان كان بالحجاز وباليمن قبل فتوح الشام وكانت الشام والعراق دار كفر ثم لما كان في خلافة علي رضي الله عنه قد ثبت عن [النبي صلي الله عليه وسلم (78)] أنه

(68)في النسخة (أ) : الحد.

(69)في النسخة (ب) : نزل.

(70)في النسخة (أ) آ: قلوبهم.

(71)المنجمين: جمع منجم وهو من ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها ويستطلع من ذلك أحوال الكون. المعجم الوسيط(905/2).

(72)في النسخة (أ) : من.

(73)في النسخة (أ) : في الدين والدنيا.

(74)ساقطة من النسخة (أ).

(75)في النسخة (ب) وقد.

(76)سبق تخريجه ص9.

(77)في النسخة (ب) النبي عليه السلام.

(78)في النسخة (ب) ثبت عنه عليه السلام.

قال: (" تمرق [79] مارقة من المسلمين [تقتلهم [80]] أولى الطائفتين بالحق فكان علي وأصحابه أولى بالحق) [81] ممن قاتلهم من أهل الشام ؛ ومعلوم أن الذين كانوا مع علي رضي الله عنه من الصحابة مثل عمار بن ياسر وسهل بن حنيف ونحوهما كانوا أفضل من الذين كانوا مع معاوية وإن كان سعد بن أبي وقاص ونحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهما فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام هذا باطلٌ قطعا وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة فقد جعل الله لكلّ شيء قدرا. والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط فمن تكلم في الدين بغير علم [فقد دخل [82]] في قوله [تعالى [83]]: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [84] وفي قوله تعالى (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [85] ومن [تكلم بقسط وعدل دخل في [86]] في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ) [87] وفي قوله تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) [88] وفي قوله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [89] والذين تكلموا باسم البدل فسروه بمعان: منها أنهم أبدال الأنبياء ، ومنها أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله [تعالى [90]] مكانه رجلا، ومنها أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات.

وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقلّ ولا بأكثر [ولا تحصر بأهل [91]] بقعة من الأرض؛ وبهذا التحرير يظهر المعنى في اسم النجباء. فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف مثل تفسير بعضهم [بأن [92]] الغوث هو الذي يغيث الله به أهل الأرض

---

(79)اذا انتشر وتساقط من مرض أو غيره.

(80)في النسخة (أ) يقتلهم.

(81)انظر صحيح الجامع 2997.

(82)في النسخة (ب) دخل.

(83)ساقطة من النسخة (أ).

(84)الإسراء 36.

(85)البقرة 169.

(86)في النسخة (أ) : يتكلم بقسط وعدل يخرج.

(87)النساء 135.

(88)الأنعام 6.

(89)الحديد 25.

(90)ساقطة من النسخة (أ).

(91)في النسخة (أ) : ولا بأهل.

(92)في النسخة (ب) ساقطة.

في رزقهم ونصرهم، فإن هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب وهو معدوم العين والأثر شبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو أربعمائة وأربعين سنة.[93] وكذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل ؛ بل النصر والرزق يحصل بأسباب من [مؤكدها [94]] دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم. ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ؛ كما جاء في الحديث المعروف [95] {أن سعد بن أبي وقاص قال: يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم أيسهم له مثل ما يسهم لأضعفهم ؟ فقال: يا سعد وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم [96]} وقد يكون للرزق والنصر أسباب أخر؛ فإن الفجار والكفار أيضا يرزقون وينصرون ؛ وقد يجدب الأرض على المؤمنين ويخيفهم من عدوهم لينيبوا إليه ويتوبوا من ذنوبهم فيجمع لهم بين غفران الذنوب وتفريج الكروب. وقد يملي للكفار ويرسل السماء عليهم مدرارا؛ ويمددهم بأموال وبنين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون إما ليأخذهم في الدنيا أخذ عزيز مقتدر وإما ليضعف عليهم العذاب في الآخرة فليس كل إنعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة ؛ قال الله تعالى: (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلَّا) [97]

[ليس في أولياء الله من هو غائب الجسد دائما عن الأبصار ، كذب من زعم ذلك في علي أو محمد بن الحسن والحاكم والأبدال الأربعين]

ليس في أولياء الله المتقين ؛ ولا عباد الله [المخلصين [98]] [أغياثه ولا المرسلين [99]] ؛ من كان غائب الجسد دائما عن أبصار الناس بل هذا من جنس قول [الغالين [100]] إن عليا في السحاب وإن محمد بن

(93)هو محمد بن حسن العسكري الذي تعتقد الشيعة أنه المهدي المنتظر وهو الأمام الثاني عشر عندهم.

(94) في النسخة (ب) آكدها.

(95)هو رواه الراوي الثقة مخالفا للضعيف فهو مقابل للحديث المنكر.

(96)أشار المؤلف إلى حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفائها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم) ، قال الشيخ الألباني : صحيح. وانظر صحيح البخاري كتاب الجهاد باب الاستعانة بالضعفاء.

(97)الفجر 15-16.

(98)في النسخة (أ) : الصالحين.

(99)في النسخة (ب) المخلصين الصالحين ولا أنبيائه المرسلين.

(100)في النسخة (ب) القائلين.

الحنفية (101) في جبال رضوى (102) وإن محمد بن الحسن بسرداب سامري، وإن الحاكم بجبل مصر، وإن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان، فكل هذا ونحوه من قول أهل الإفك والبهتان؛ نعم قد تخرق العادة في حق الشخص فيغيب تارة عن أبصار الناس إما لدفع عدو عنه وإما لغير ذلك ،وأما أنه يكون هكذا طول عمره، فباطلٌ، نعم يكون نور قلبه وهدى فؤاده وما فيه من أسرار الله [تعالى (103)] وأمانته وأنواره ومعرفته غيبا عن أعين الناس ويكون صلاحه وولايته غيبا عن أكثر الناس فهذا هو الواقع وأسرار الحق بينه وبين أوليائه وأكثر الناس لا يعلمون، وقد بينا بطلان اسم الغوث مطلقا و[اندرج (104)] في ذلك غوث العجم ومكة والغوث السابع.

[لفظ خاتم الأولياء باطل من ذكره وانتحله]

وكذا لفظ خاتم الأولياء لفظ باطل لا أصل له وأول من ذكره محمد بن علي بن الحكيم الترمذي (105) وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء: كابن حموية (106) وابن عربي (107) وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي [صلى الله عليه وسلم (108)] من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعا في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة

---

(101)هو محمد بن علي بن أبي طالب ، يقال له محمد بن الحنفية ،كنيته أبو القاسم وقد قيل أبو عبدالله كان من أفاضل أهل البيت وكانت الشيعة تسميه المهدي ،كان مولده لثلاث سنين بقيت من خلافة عمر بن الخطاب ومات برضويه سنة ثلاث وسبعين ودفن بالبقيع (مشاهير علماء الأمصار ج1 ص62).

(102)رضويه هو جبل ينبع بين مكة والمدينة وهو غير المدينة المذكورة وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية يرى من البعد أخضر، وبه مياه وأشجار كثيرة، زعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية مقيم به ، انظر معجم البلدان(ج58/3) آثار البلاد وأخبار العباد - (ج 1/ ص 33).

(103)ساقطة من النسخة (أ).

(104)في النسخة (أ) : اندفع.

(105)محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي: باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين ،ومن تصانيفه : الاكياس والمغترين، رياضة النفس، الكسب وكلها في التصوف توفي 320هـ انظر . الأعلام للزركلي - (6 / 272) معجم المؤلفين - (10 / 315).

(106)هو الشيخ الإمام العالم العامل العارف شيخ الشيوخ تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه ،توفي في جمادى الأولى من سنة 617هـ. انظر ترجمته: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية لأبي نعيم الأصبهاني(2/1) التقييد(88/1).

(107)هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ، توفي سنة 638 هـ ، لقبه الصوفية بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر . من كتبه الفتوحات والفصوص وترجمان الأشواق . وهو صوفي محترق. انظر ترجمته :
ميزان الاعتدال في نقد الرجال - (6 / 269)و الأعلام للزركلي - (6 / 281).

(108)في النسخة (ب) عليه السلام.

خاتم الأنبياء، [وغلطوا [109]] ؛ فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك وليس كذلك [الأولياء [110]] فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وخير هذه الأمة بعد نبيها [أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه ثم علي رضي الله عنه [111]] وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس وليس ذلك [هو بخير [112]] الأولياء ولا أفضلهم بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر [الصديق رضي الله تعالى عنه [113]] ثم عمر: اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما [114].

القسم الثاني

القلندرية

[سئل عن هؤلاء القلندرية الذين يحلقون ذقونهم ما هم من أي الطوائف، وهل أطعم النبي صلى الله عليه وسلم شيخهم قلندر عنبا وكلمه بالأعجمية؟]

أما هؤلاء" القلندرية "[المحلقوا [115]] اللحى [والذين يحلقون لحاهم ويدعون شواربهم [116]] فمن أهل الضلالة والجهالة [وكثير منهم كفروا [117]] بالله ورسوله لا يرون وجوب الصلاة [ولا وجوب [118]] الصيام ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق [بل [119]] كثير منهم أكفر من اليهود والنصارى وهم ليسوا من أهل الملة ؛ ولا من أهل الذمة. وقد يكون فيهم من هو مسلم ؛ [لكنه [120]] مبتدع ضال أو فاسق فاجر. ومن قال إن" قلندر" كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب وافترى ؛ بل قد قيل: أن أهل هذا الصنف أنهم كانوا قوما من نساك الفرس يدورون على ما فيه راحة قلوبهم بعد أداء

---

(109)في النسخة (ب) وقد غلطوا.

(110)في النسخة (ب) خاتم الأولياء.

(111)في النسخة (أ) أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما.

(112)في النسخة (ب) بخير.

(113)ساقطة من النسخة (أ).

(114)كل هذا من مجموع الفتاوي ج1/ص 433إلي 444 وما بعدها من ج35 ص 163.

(115)في النسخة (ب) : الحلقي.

(116)ساقطة من النسخة (ب).

(117)في النسخة (ب) أكثرهم كافرون.

(118)ساقطة من النسخة (ب).

(119)في النسخة (أ) : و.

(120)في النسخة (ب) لكن.

الفرائض واجتناب [المحرمات [121]]. هكذا فسرهم الشيخ أبو حفص السهروردي [122] في عوارفه ثم إنهم بعد ذلك تركوا الواجبات وفعلوا المحرمات.

[الملامية والملاميات]

بمنزلة [قدماء [123]] الملامية [124] الذين كانوا يخفون حسناتهم ويظهرون ما لا يظن بصاحبه الصلاح من زي الأغنياء ولبس [العامة [125]] فهذا قريب. وصاحبه مأجور على نيته ؛ ثم حدث قوم فدخلوا في أمور مكروهة في الشريعة ؛ ثم زاد الأمر ففعل قوم المحرمات من الفواحش والمنكرات وترك الفرائض والواجبات ؛ وزعموا أن ذلك دخول منهم في الملاميات [126].

ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم والذم والعقاب من الله [تعالى [127]] في الدنيا والآخرة؛ وتجب [عقوبتهم [128]] ومنعهم من هذا الشعار [الملعون [129]] كما يجب ذلك في كلّ معلن ببدعة أو فجور.

[كل من خرج عن الهدى ودين الحق فهو كافر إن أظهره ومنافقون إن أخفوه]

وليس [ذلك [130]] مختصا بهم ؛ بل كلّ من كان من المتنسكة المتفقهة والمتعبدة والمتفقرة والمتزهدة والمتكلمة والمتفلسفة ومن وافقهم من الملوك والأغنياء ؛ والكتاب ؛ والحساب ؛ والأطباء ؛ وأهل الديوان والعامة: خارجا عن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله لا يقر بجميع ما أخبر الله به على لسان رسوله ؛ أو لا يوجب ما أوجبه الله ورسوله [أو [131]] لا يحرم ما حرمه الله ورسوله ؛ أو يدين بدين يخالف

---

(121)في النسخة (أ) : المحارم.

(122)هو أبو حفص عمر بن محمد ين عبدالله بن عمويه السهروردي ،و ولد في رجب سنة 539هـ. وتوفي ببغداد في ليلة الأربعاء مستهل محرم سنة632هـ انظر ترجمته المستفاد من ذيل تاريخ بغداد – (1 / 157) و(تذكرة الحفاظ ج4 ص1458).

(123)ساقطة من النسخة (ب).

(124)الطائفة الملامية ، وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه ، ويقولون نحن متبعون في الباطن ، ويقصدون إخفاء المرائين ردوا باطلهم بباطل (شرح العقيدة الطحاوية – ص 5754).

(125)في النسخة (ب) : العمامة.

(126)اسم فرقة من فرق الصوفية.

(127)ساقطة من النسخة (ب).

(128)في النسخة (ب) عقوبتهم جميعا.

(129)في النسخة (أ) الملعونة.

(130)ساقطة من النسخة (ب).

(131)في النسخة (ب) : و.

الدين الذي بعث الله به رسوله باطنا وظاهرا: مثل من يعتقد أن شيخه يرزقه ؛ أو ينصره أو يهديه [أو يغيثه [132]] ؛
[أو يعينه [133]] ؛ أو كان يعبد شيخه [أو [134]] يدعوه ويسجد له ؛ أو كان يفضله على النبي صلى الله عليه وسلم تفضيلا مطلقا ؛ أو مقيدا في شيء من الفضل الذي يقرب إلى الله [تعالى [135]] ؛ أو كان يرى أنه هو أو شيخه مستغن عن متابعة الرسول [صلى الله عليه وسلم فكل [136]] هؤلاء كفارا إن أظهروا ذلك ؛ ومنافقون إن لم يظهروه.

[سبب ظهور مثل هؤلاء قلة العلم]

وهؤلاء الأجناس وإن كانوا قد كثروا في هذا الزمان، فلقلة دعاة العلم والإيمان وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى.

القسم الثالث

قاعدة الواسطة (137) للشيخ العز بن عبد السلام (138)

[سئل عن رجلين قال أحدهما: لا بد لنا من واسطة]

[نقل من كلام شيخ الإسلام والمسلمين والقائم ببيان الحق ونصرة الدين الداعي إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله الباذل نفسه في ابتغاء مرضات الله تعالى والجهاد الأكبر في سبيله الذاب عن حرم الكتاب والسنة الصابر علي المحنة المؤيد بالحجة والبرهان والقامع لأهل الزيغ والطغيان والنور الذي أظهره الله عز وجل في ليل الشبهات والظنون فكشف به تمويه المموهين وما زخرفه المبطلون وأبان به معالم دينه القديم وفتح به باب الصراط المستقيم فجعله منارا لأهل العلم والإيمان والقويم لأولي الشهود والعرفان وأحيا به من التوحيد ما كان دارسا واضمحل به من الدين ما كان غائبا حتي انفتح من القلوب مقفلها وزاحت عن النفوس

(132)ساقطة من النسخة (أ).

(133)في النسخة (ب) أو يغيثه أو يعينه.

(134)في النسخة (أ) : و.

(135)ساقطة من النسخة (أ).

(136)ساقطة من النسخة (أ).

(137)وهذه قاعدة الواسطة التي نقلها ابن تيمية عن سلطان العلماء العز بن عبد السلام.

(138)هو عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن السلمي الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعي توفي (660) انظر :الأعلام 21/4 ،فوات الوفيات 287/1 ،طبقات السبكي 80/5.

عللها وظهرت به بشارة رسول رب العالمين بقوله :"يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين" (139).

[الواسطة الحق]

إمام العلماء أحد ورثة الأنبياء الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه الرحيم العلام قاعدة الواسطة للشيخ الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام رحمه الرحيم العلام [واعلم أنه قد] (140) اجمع أهل الملل [من المسلمين واليهود والنصارى على إثبات (141)] الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره.

[حكم منكر الواسطة الحق]

قال [الله (142)] تعالى: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) (143) ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل. والسور التي أنزلها الله بمكة مثل: الأنعام ؛ والأعراف ؛ وذوات: (الم (144)) و(حم) و [(طسم)] (145) ونحو ذلك ؛ هي متضمنة لأصول الدين كالإيمان بالله [ورسله (146)] واليوم الآخر.

[إن أراد أنه لا بد من واسطة نسأله جلب المنافع]

وقد قص الله قصص الكفار الذين كذبوا الرسل وكيف أهلكهم [الله] (147) ؛ ونصر [رسله (148)] والذين آمنوا. قال تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) (149) وقال [تعالى (150)]: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

---

(139)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الشهادات باب الرجل من أهل الفقه يسألُ حديث رقم 21439،و أخرجه الطبراني في مسند الشاميين – (1 / 344) ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (2 / 322)و الحديث صحيح صححه الألباني في مشكاة المصابيح انظر مشكاة المصابيح – (1 / 53).

(140)في النسخة (ب)وهذا مما.

(141)ساقطة من النسخة (أ).

(142)لفظ الجلالة ساقط في النسخة (ب).

(143)الحج 75.

(144)في النسخة (ب) الر.

(145)في النسخة (ب) (طس).

(146)في النسخة (ب) ورسوله.

(147)ساقطة من النسخة (ب).

(148)في النسخة (ب) : رسوله.

(149)الصافات 171- 173.

الْأَشْهَادُ) (151) . فهذه الوسائط: تطاع وتتبع [ويهتدى (152)] بها ، كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) (153) وقال تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (154) وقال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)(155) وقال: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (156) وقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (157)

[الواسطة الباطلة]

وإن أراد [أحد (158)] [بالوساطة (159)]: أنه لا بد من واسطة [يتخذه العباد بينهم وبين الله (160)] في جلب المنافع ودفع المضار مثل: أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم ؛ يسألونه ذلك ويرجون إليه فيه: فهذا من أعظم الشك الذي كفر الله به المشركين ؛ [حين (161)] اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء ؛ يجتلبون [بهم (162)] المنافع [فيدفعون بها (163)] المضار.

(150)ساقطة من النسخة (ب).
(151)غافر 51.
(152)في النسخة (ب) ويقتدى.
(153)النساء 64.
(154)النساء 80.
(155)آل عمران 3.
(156)الأعراف 157.
(157)الأحزاب 21.
(158)ساقطة من النسخة (ب).
(159)في النسخة (ب) بالواسطة.
(160)ساقطة من النسخة (ب).
(161)في النسخة (ب).
(162)في النسخة (أ) بها.
(163)في النسخة (ب) ويجتنبون.

[الشفاعة بين القبول والرفض]

لكن الشفاعة [164] لمن يأذن الله له فيها [حتى [165]] قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) [166]وقال [تعالى [167]]: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) [168] وقال [تعالى [169]]: (وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) [170] وقال تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (22) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) [171] وقال الله تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) [172] [173] [174]

[لا واسطة في العبادة والرزق وكشف الضر]

و[قالت [175]] طائفة من السلف: كان أقوام [من الكفار [176]] يدعون المسيح والعزير والملائكة [والأنبياء [177]]: فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء: لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وأنهم يتقربون

---

(164)الشفاعة في اللغة اسم من شفع يشفع إذا جعل الشيء اثنين والشفع ضد الوتر وفي الاصطلاح التوسط في قضاء حاجة الغير لدي من عنده لجلب منفعة أو دفع مضرة وجاءت في كتاب الله علي قسمين: 1- مثبت وهي التي يتوفر فيها شرطان أن تطلب من الله والثاني أن تكون فيمن تقبل فيه الشفاعة. 2- ومنفي(انظر القول المفيد في شرح كتاب التوحيد ص 214 / وإغاثة المستفيد ج1 ص 236).

(165)ساقطة من النسخة (أ).

(166)السجدة (4) ولي أي ناصر ينصرهم ولا شفيع أي شافع يتوسط لهم.

(167)ساقطة من النسخة (ب).

(168)الأنعام 51.

(169)ساقطة من النسخة (ب).

(170)الأنعام – آية 70.

(171)سبأ 22-23.

(172)ساقطة من النسخة (ب).

(173)الإسراء 56-57.

(174)في النسخة (ب) الآية الأولى هي الثانية والثانية هي الأولى.

(175)في النسخة (أ) : قال.

(176)ساقطة من النسخة (ب).

(177)ساقطة من النسخة (ب).

[إليه [178]] ويرجون رحمته ويخافون عذابه. وقال [الله [179]] تعالى: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [180] فبين سبحانه [وتعالى [181]]: أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر.

[حكم من اتخذ الملائكة والنبين وسائط تعبد]

فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران [الذنوب [182]] وهداية القلوب وتفريج [الكروب [183]] وسد الفاقات: فهو كافر بإجماع المسلمين. وقد قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ (الرَّحْمَنُ) [184] وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) [185]
وقال [الله [186]] تعالى: (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) [187] وقال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) [188] وقال [الله [189]] تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ

---

(178)في النسخة (ب) إلى الله.
(179)لفظ الجلالة ساقط من النسخة (ب).
(180)آل عمران 79-80.
(181)ساقطة من النسخة (ب).
(182)في النسخة (ب) الذنب.
(183)في النسخة (أ) الكربات.
(184)في النسخة (أ) الله.
(185)الأنبياء 26-29.
(186)لفظ الجلالة ساقط من النسخة (ب).
(187)النساء 172.
(188)مريم 88-95.
(189)لفظ الجلالة ساقط من النسخة (ب).

فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (190) وقال الله تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) (191)

وقال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (192) وقال (الله تعالى (193)): (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) (194) وقال تعالى: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) (195) وقال تعالى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) (196) ومثل هذا كثير في القرآن ، ومن سوى الأنبياء – من مشايخ العلم والدين –

[العلماء وسائط العلم والبيان]

فمن أثبت [وسائط (197)] بين الرسول وأمته [يبلغونهم؛ ويعلمونهم؛ ويؤدبونهم (198)] ؛ويقتدون بهم ؛ فقد أصاب في ذلك. وهؤلاء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة وإن تنازعوا في شيء ردوه إلى الله والرسول ؛ إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق ؛ بل كل [أحد يؤخذ من قوله ويترك (199)] إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم { العلماء ورثة الأنبياء فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر (200)}.

[إن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب كفر]

وإن أثبتهم وسائط [بين الله وبين (201)] خلقه – كالحجاب الذين بين الملك ورعيته – بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه؛ [وإن الله تعالى (202)] إنما يهدي عباده ويرزقهم [وينصرهم (203)] بتوسطهم؛

(190)يونس 18.
(191)النجم 26.
(192)البقرة 255.
(193)ساقط من النسخة (ب).
(194)يونس 107.
(195)فاطر 2.
(196)الزمر 38.
(197)في النسخة (أ) وسائطه.
(198)في النسخة (أ) يبلغونهم ويؤدبونهم.
(199)في النسخة (ب) يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله.
(200)أخرجه الترمذي في سننه عن عاصم بن رجاء في كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في فضل الفقه.
(201)في النسخة (أ) : بين خلقه.
(202)في النسخة (ب) فالله.

[بمعنى أن [204]] [الخلق [205]] يسألونهم وهم يسألون الله ؛ كما أن الوسائط عند الملوك: يسألون الملوك [الحوائج للناس [206]] ؛ لقربهم منهم والناس يسألونهم ؛ أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ؛ أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ؛ لكونهم أقرب إلى الملك من [الطالب [207]]. فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه: فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل. وهؤلاء مشبهون الله شبهوا [الخالق بالمخلوق [208]] وجعلوا الله أندادا ، وفي القرآن [209] من الرد على هؤلاء [شفيعا لأنه يشفع غيره – أي يصير له شفيعا –[210]] قال تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا) [211] وكل من أعان غيره فقد شفع فيه والله تعالى وتر [لا يشفعه أحد [212]] [والله تعالى [213]] يبين أنه لا يسبقه [أحد كما هو بوجه من الوجوه].

[وسائط الملوك ثلاثا]

فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس: يكونون على أحد وجوه ثلاثة الوجه الأول [214]: – إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه. ومن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم: فهو كافر بل هو – سبحانه – يعلم السر وأخفي لا تخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) . يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل. ولا يتبرم بإلحاح الملحين.

الوجه الثاني: أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه – إلا بأعوان يعينونه – فلا بد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه. والله – سبحانه – ليس له ظهير ولا ولي من الذلّ. قال تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ

---

(203)ساقطة من النسخة (ب).

(204)ساقطة من النسخة (ب).

(205)في النسخة (ب) فالخلق.

(206)في النسخة (أ) : حوائج الناس.

(207)في النسخة (ب) الطالب للحوائج.

(208)في النسخة (ب) المخلوق بالخالق.

(209)ساقط من النسخة (أ) ما لم تتسع له هذه الفتوى.

(210)هذه جملة في غير موضعها.

(211)(النساء:85).

(212)أي أن المسلم لا يستطيع أن يشفع للكافر.

(213)ساقطة من النسخة (ب).

(214)زيادة من المحقق ليستقيم المعنى.

مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) وقال تعالى (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)

وكلّ ما في الوجود من الأسباب: فهو خالقه وربه ومليكه فهو الغني عن كلّ ما سواه وكلّ ما سواه فقير إليه؛ بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم – في الحقيقة – شركاؤهم في الملك. والله تعالى: ليس له شريك في الملك بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير [(215)].

والوجه الثالث: أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم: إلا بمحرك يحركه من خارج. فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظمه أو من يدلّ عليه ؛ بحيث يكون [يدعوه (216)] ويخافه [وتحركت (217)] إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته إما [لما حصل (218)] في قلبه من كلام الناصح الواعظ المبشر ، وإما لما يحصل [له (219)] من الرغبة و الرهبة من كلام المدلّ عليه. والله تعالى: هو رب كلّ شيء ومليكه وهو [أرحم (220)] من الوالدة بولدها وكلّ [الأسباب (221)] إنما تكون بمشيئته فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على[يد (222)] بعض: فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن و [الداعي] (223) والشافع إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو [يعلمه (224)] ما لم يكن [يعلمه (225)]
أو من يرجوه [رب تعالى (226)] [أو يخافه (227)] قال النبي صلى الله عليه وسلم { لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ؛ ولكن ليعزم المسألة ؛ فإنه لا مكره له (228)}. والشفعاء الذين

---

(215)ساقطة من النسخة (أ).

(216)في النسخة (ب) يرجوه.

(217)في النسخة (أ) ويحرك.

(218)في النسخة (أ) حصل.

(219)ساقطة من النسخة (ب).

(220)في النسخة (ب) أرحم بعباده.

(221)في النسخة (ب) الأشياء.

(222)ساقطة من النسخة (ب).

(223)ساقطة من النسخة (ب).

(224)في النسخة (ب) يعلم.

(225)في النسخة (ب)يعلم

(226)ساقطة من النسخة (أ).

يشفعون عنده: لا يشفعون إلا بإذنه [قال تعالى [229]] [مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [230]] { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } [231] وقال { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } [232]،

[الشفاعة عند الملك لحاجة الشافع والمشفوع له عنده]

وهذا بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم قد يكون له ملك وقد يكون شريكا لهم في الملك وقد يكون مظاهرا لهم[معاونا [233]] على ملكهم وهؤلاء يشفعون عند [الملك [234]] بغير إذن الملوك وغيرهم والملك يقبل شفاعتهم: تارة [لحاجته [235]] إليهم وتارة لخوفه منهم وتارة لجزاء إحسانهم إليه ومكافأتهم علي [أنعامهم [236]] عليه ؛ حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك [وان تضرب بذلك [237]] ويقبل شفاعة مملوكه ؛[فإنه إذا [238]] لم يقبل شفاعته ؛ يخاف أن لا يطيعه أو أن يسعى في ضرره. وشفاعة العباد بعضهم عند بعض: كلها من هذا الجنس. فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة. والله تعالى: لا يرجو أحدا [ولا يخاف أحد [239]] ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني قال الله تعالى: (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) [240]إلى قوله: (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [241] . (وقوله تعالى (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) [242]

---

(227)في النسخة (ب) ويخافه ولهذا.

(228)أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الدعوات، باب المسألة فإنه لا مكره له، حديث رقم 5864.

(229)في النسخة (ب) كما قال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه. وأخرجه مسلم وكلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(230)ساقطة من النسخة أ.

(231)سبأ 23.

(232)في النسخة (ب) (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ). فبين أن كل من دعي من دونه ليس له ملك ولا شرك في الملك ولا هو ظهير. وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أذن له.

(233)في النسخة (ب) معاونا لهم.

(234)في النسخة (ب) الملوك.

(235)في النسخة (ب) بحاجته.

(236)في النسخة (ب) ولإنعامهم .

(237)في النسخة (ب) فإنه محتاج إلى الزوجة وإلى الولد؛ حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك.

(238)في النسخة (ب) فإذا.

(239)في النسخة (ب) ولا يخافه.

(240)يونس 66.

(241)يونس68.

(242)يونس66.

بين ذلك سبحانه وتعالى من اتبع من دون الله شركاء فليس معه علم ليس معه إلا ظن مرفوض والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غير مطابق للحق فإن الخرص تضمن معنى الكذب لقوله: (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) [243] ومن ظن أن ما هنا نافية فقد فسر الآية بما هو خطأ كما قد بسط من غير هذا الموضع [244]] والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة [عند المخلوقين [245]]. قال تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [246] (قال تعالى عن صاحب يس) (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [247]) [248] وقال تعالى: (فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) [249] وأخبر عن المشركين أنهم قالوا": (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [250] وقال تعالى: (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [251] وقال تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) [252] فأخبر أن ما يدعى من دونه لا يملك كشف ضر ولا تحويلا أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه . فهو – سبحانه – قد نفي [ما أثبتوه من توسط الملائكة [253]] والأنبياء إلا الشفاعة بإذنه والشفاعة هي الدعاء.

(243)الذاريات 10.
(244)ساقطة من النسخة (ب).
(245)ساقطة من النسخة (ب).
(246)يونس 18.
(247)يس 22-24.
(248)ساقطة من النسخة (ب)
(249)الأحقاف 28.
(250)الزمر3.
(251)آل عمران 80.
(252)الإسراء 56-57.
(253)في النسخة (ب) ما من الملائكة.

[لا شفاعة ولا دعاء ولا مغفرة لغير المؤمنين]

ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد أمر بذلك لكن الداعي الشافع: ليس له أن يدعوا و يشفع إلا بإذن الله له في ذلك فلا يشفع شفاعة نهي عنها؛ كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة. قال تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ [(254)]) [(255)] .

وقال تعالى في حق المنافقين: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [(256)] . وقد ثبت في الصحيح: أن الله [تعالى [(257)]] نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين وأخبر أنه لا يغفر [الله [(258)]] لهم. كما في قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [(259)] [وقال [(260)]] (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) [(261)] (قال [(262)]) تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [(263)] (فهو سبحانه لا يحب المعتدين [(264)]) في الدعاء- ومن الاعتداء في الدعاء: أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله. مثل: أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك أو يسأله ما فيه معصية الله كإعانته على الكفر والفسوق والعصيان . فالشفيع الذي [أذن له [(265)]] في الشفاعة: شفاعته في الدعاء الذي ليس فيه عدوان. ولو سأل [أحد من الأنبياء [(266)]] أحدهم دعاء لا

---

(254)ساقطة من النسخة ب.
(255)التوبة 113-114 .
(256)المنافقون 6.
(257)ساقطة من النسخة ب.
(258)لفظ الجلالة ساقط من النسخة ب.
(259)النساء 6.
(260)في النسخة (ب) وقوله.
(261)التوبة 84.
(262)في النسخة (ب) وقد قال.
(263)الأعراف 55.
(264)ساقطة من النسخة (ب).
(265)في النسخة (ب) أذن الله له.
(266)في النسخة (ب) أحدهم زيادة.

يصلح له [لم [267]] يقر عليه ؛ فإنهم معصومون أن يقروا على [ذنب ولهذا [268]]. كما قال نوح: (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) [269] قال[الله [270]]: (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [271] وكل (شافع وداع [272]) دعاء [الله [273]] وشفع: فلا يكون [شفاعته و دعاؤه [274]] إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته وهو الذي يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة فهو الذي خلق السبب والمسبب ، والدعاء من جملة الأسباب التي [يقدرها [275]] سبحانه وتعالى وإذا كان كذلك: فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ؛ بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله [تعالى [276]] – والله يقدر له من الأسباب – من دعاء الخلق وغيرهم – ما شاء.

[دعاء المسلمين بعضهم لبعض]

والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى والأدنى في الأعلى [ومن ذلك [277]] [طلب الدعاء والشفاعة [278]] من الأنبياء كما كان المسلمون[يستسقون [279]] بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء ويطلبون منه الدعاء [ولذلك [280]] بعده استسقى [عمر بن الخطاب [281]] والمسلمون

(267)في النسخة (ب) لا

(268)في النسخة (ب) ذلك.

(269)هود 45.

(270)في النسخة (ب) قال تعالى.

(271)هود 46 – 47.

(272)في النسخة (ب) كل داع شافع.

(273)في النسخة (ب) الله سبحانه وتعالي

(274)في النسخة(ب) دعائه وشفاعته.

(275)في النسخة (ب) وقدرها.

(276)في النسخة (ب) سبحانه وتعالى.

(277)ساقطة من النسخة (ب).

(278)في النسخة (ب) فطلب الشفاعة والدعاء.

(279)في النسخة (ب) يستشفعون.

(280)في النسخة (ب) بلْ وكذلك.

(281)في النسخة (ب) عمر

بالعباس عمه والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء وله شفاعات [يختص [282]] ببعضها، وبعضها وإن شاركه فيه غيره فله منه [ما لا يحصل لغيره [283]] مع هذا فقد ثبت في [الصحيح [284]] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :{ إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ؛ فإنه من صلى علي [واحدة [285]] مرة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة ؛ فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة [286]} وقد قال لعمر لما أراد أن يعتمر وودعه: [لا تنسانا يا أخي [287]] من دعائك [288]}.

[طلب الرسول من الأمة أن يدعو له ليس من باب سؤالهم]

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد طلب من أمته أن يدعوا له ؛ ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم ، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها مع [أمره [289]] صلى الله عليه وسلم [له من الأجر [290]] مثل أجورهم [من [291]] كلّ ما يعملونه فإنه قد صح عنه أنه قال:{ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من [ذلك [292]] أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من [تبعه لا ينقص ذلك [293]] من أوزارهم شيئا [294]} وهو داعي الأمة إلى كلّ هدى فله مثل أجورهم في كلّ ما اتبعوه فيه. وكذلك إذا صلوا عليه فإن الله [سبحانه

(282)في النسخة (ب) يختص بها.

(283)ساقطة من النسخة (ب).

(284)في النسخة (ب) الصحيحين.

(285)في النسخة (ب) علي مرة.

(286)أخرجه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص في كتاب الصلاة باب استحباب القول مثقل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى اله عليه وسلم ثم يسأل الله الوسيلة ، حديث رقم 384.

(287)في النسخة (ب) يا أخي لا تنسني.

(288)أخرجه أبو داوود في سننه عن عمر رضي الله عنه في كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، حديث رقم 1498. قال الألباني : ضعيف.

(289)في النسخة (ب) انه.

(290)في النسخة (ب) له.

(291)في النسخة (ب) في.

(292)ساقطة من النسخة (ب).

(293)في النسخة (ب) من اتبعه من غير.

(294)أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ، حديث رقم 2674.

[(295)] يصلي على أحدهم عشرا وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه [سبحانه (296)] من دعائهم له فذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: { ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة إلا وكل الله به ملكا كلما [دعا بمثله لأخيه (297)] بدعوة قال الملك الموكل به: آمين ولك [بمثله (298)] (299) آخر: { أسرع الدعاء دعوة غائب لغائب (300)}. فالدعاء للغير ينفع [الداعي (301)] وإن كان الداعي دون المدعو له وينتفع بالدعاء الداعي والمدعو له فدعاء المؤمن لأخيه [وينتفع بالدعاء (302)] الداعي والمدعو له.

[استحباب سؤال الرجل من أخيه الدعاء والتفصيل في ذلك النعمة بالإيمان والطاعة، هل نعم الدنيا بدون الدين نعمة]

فمن قال لغيره ادع لي وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى فهو نبه المسئول وأشار عليه بما [ينفعهما (303)] بمنزلة من [صام عنه (304)] غيره ببر وتقوى؛ فيثاب المأمور على فعله [والآمر (305)] يثاب [لكونه (306)] دعا إليه لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر [به (307)] العبد كما قال تعالى: (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (308) فأمره بالاستغفار ثم قال: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (309) فذكر –

---

(295)ساقطة من النسخة (ب).

(296)ساقطة من النسخة (ب).

(297)في النسخة (ب) دعا لأخيه.

(298)في النسخة (ب) مثل ذلك في حديث.

(299)أخرجه مسلم في صحيحه عن أم الدرداء رضي الله عنها في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فض الدعاء للمسلمين في ظهر الغيب ، حديث رقم 2733.

(300)أخرجه أبو داوود في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في كتاب الصلاة ، باب الدعاء بظهر الغيب ، حديث رقم 1535.

(301)في النسخة (ب) به الداعي والمدعوا له.

(302)في النسخة (ب) فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به.

(303)في النسخة (ب) ينفعهما والمسئول فعل ما ينفعهما.

(304)في النسخة (ب) يأمر.

(305)في النسخة (ب) والآمر أيضا.

(306)في النسخة (ب) مثل ثوابه لكونه.

(307)في النسخة (ب) بها.

(308)محمد 19.

(309)النساء 64.

سبحانه – استغفارهم واستغفار الرسول لهم [إن ذلك ما [310]] أمر به الرسول حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولم يأمر الله مخلوقا أن [يسأل [311]] ، لم يأمر الله المخلوق [المسئول [312]] به بل ما أمر الله العبد أمر إيجاب [و [313]] استحباب؛ ففعله هو عبادة لله وطاعة وقربة إلى الله وصلاح لفاعله وحسنة فيه وإذا فعل ذلك كان أعظم [إحسان [314]] إلى الله وإنعامه عليه بل [كل [315]] نعمة أنعم الله بها على [عبده [316]] أن [هداه [317]] للإيمان . والإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة والحسنات [فكلما أراده العبد عملً الخير [318]] ازداد إيمانه. هذا هو الإنعام الحقيقي المذكور في قوله: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) [319] وفي قوله: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [320] [321].

بل نعم الدنيا بدون الدين هل [يسمى [322]] نعمه أم لا ؟ فيه قولان مشهوران[للعلماء [323]] من أصحابنا وغيرهم والتحقيق: أنها نعمة من وجه وإن لم تكن نعمة تامة من [وجهين [324]] وأما الإنعام بالدين [فهو فعل [325]] ما أمر الله به من واجب أو مستحب فهو الخير الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين وهو النعمة [المحققة [326]] عند أهل السنة إذ عندهم أن الله هو الذي أنعم بفعل الخير. والقدرية

(310)في النسخة (ب) إذ ذاك مما.
(311)في النسخة (ب) أن يسال مخلوقا شيئا.
(312)ساقطة من النسخة (ب).
(313)في النسخة (ب) أو.
(314)في النسخة (ب) لإحسان.
(315)في النسخة (ب) أجل.
(316)في النسخة (ب) عباده.
(317)في النسخة (ب) هداهم.
(318)في النسخة (ب) كلما ازداد العبد عملا للخير.
(319)الفاتحة 7.
(320)ساقطة من النسخة (ب).
(321)النساء 69.
(322)في النسخة (ب) هي من.
(323)في النسخة (ب) للعلماء من أصحابنا وغيرهم.
(324)في النسخة (ب) وجه.
(325)في النسخة (ب) الذي ينبغي طلبه فهو.
(326)في النسخة (ب) الحقيقية.

(327) عندهم إنما أنعم بالقدرة [الصالحة (328)] للضدين فقط. والمقصود هنا: أن الله [تعالى (329)] لم يأمر مخلوقا أن يسأل مخلوقا إلا ما كان مصلحة لذلك المخلوق [المسئول (330)] إما واجب [وإما (331)] مستحب. [سبحانه (332)] لا يطلب من العبد إلا ذلك أن [يسال (333)] العبد ماله إلا عند الضرورة . [وإن كان عطاء المال مستحبا ثم طلب من غيره أما واجبا وأما مستحبا إن كان (334)] قصده مصلحة المأمور أو مصلحته ومصلحة المأمور [فهو مثاب (335)] على ذلك وإن كان [مقصودة (336)] حصول مطلوبة من غير قصد منه لانتفاع المأمور فهذا من نفسه [إذ (337)] ومثل هذا السؤال لا يأمر الله به قط بل قد ينهى عنه إذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته والله يأمرنا أن نعبده ونرغب إليه، ويأمرنا أن نحسن إلى عباده وهذا [إذا (338)] لم يقصد لا هذا ولا هذا فلم يقصد الرغبة إلى الله ودعائه وهو الصلاة. ولا قصد الإحسان إلى المخلوق الذي هو الزكاة وإن كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال ؛ لكن فرق ما بين ما يؤمر به العبد [وما يؤذن فيه (339)] ألا ترى أنه [صلي الله عليه وسلم (340)] قال في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: أنهم لا يسترقون (341) وإن كان الاسترقاء جائزا. وهذ ا قد بسطناه في غير هذا الموضع.

---

(327)القدرية هي اسم اطلقه أهل السنة علي كل من يزعم أنه قدر فعله بنفسه اي خلقه وأوجده استقلالا وأطلقه المعتزلة علي كل من نسب تقدير أعمال العباد إلي الله وسبب هذا التقاذف بهذا الاسم أن الرسول صلي الله عليه وسلم ألحق القدرية بالمجوس وكل لا يريد أن يصدق عليه هذا الاسم. (انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 244).

(328)في النسخة (ب) عليه الصالحة.

(329)ساقطة من النسخة (ب).

(330)ساقطة من النسخة (ب).

(331)في النسخة (ب) أو.

(332)في النسخة (ب) فإنه سبحانه.

(333)في النسخة (ب) فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك ؟ بل قد حرم على العبد أن يسأل.

(334)ساقطة من النسخة (ب).

(335)في النسخة (ب) فهو يثاب.

(336)في النسخة (ب) قصده.

(337)في النسخة (ب) أتى.

(338)ساقطة من النسخة (ب).

(339)في النسخة (ب) ما يؤذن له فيه.

(340)ساقطة من النسخة (ب).

(341)أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب حديث رقم 547. صحيح مسلم (137/1).

[سؤال المخلوق]

[وبينا أن الأصل في سؤال الخلق أن يكون محرما، أما يباح لحاجة، فالسؤال للمخلوق فيه ذل الناس، وهو ظلم من العبد لنفسه، وفيه إيذاء المسؤول وهو من جنس العباد ،وفيه خضوع العبد لغير الله، وهو من جنس الشرك، ففيه أجناس الظلم الثلاثة: الظلم المتعلق بحق الله، وظلم العباد وظلم العبد نفسه (342)].

والمقصود هنا: أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك؛ بل هذا دين المشركين عباد الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين وإنها وسائط يتقربون بها إلى الله [تعالى (343)] وهو من الشرك الذي أنكره الله [تعالى (344)] على النصارى، حيث قال: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) [وقال (345)] (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (346) وقال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (347) أي فليستجيبوا لي إذا دعوتهم بالأمر والنهي، وليؤمنوا بي [لأجيب (348)] دعاءهم بالمسألة والتضرع. وقال تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)) (349) وقال تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ) (350) وقال تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) (351)

[الاحتياط من الشرك وسد أبوابه]

وقال تعالى: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (352) وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه وحسم مواد الإشراك به حتى لا [يخلف أمرا (353)] غير الله ولا [يوجد (354)] سواه ولا يتوكل إلا

(342)ساقطة من النسخة (ب).

(343)ساقطة من النسخة (ب).

(344)ساقطة من النسخة (ب).

(345)ساقطة من النسخة (ب) حيث أنها غير موجودة في الآية.

(346)التوبة 31.

(347)البقرة 186.

(348)في النسخة (ب) أن أجيب.

(349)الشرح 7- 8.

(350)الإسراء 67.

(351)النمل 62.

(352)الرحمن 29.

(353)في النسخة (ب) يخاف أحد.

(354)في النسخة (ب) لا يرجو.

عليه. قال تعالى: (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) [355] (وقال تعالى [356]) (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) أي يخوفكم أولياءه (فَلَا [357] تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [358]) وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) [359] وقال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) [360] وقال تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) [361] فبين أن الطاعة لله ورسوله، وأما الخشية [والتقوى [362]] [لله [363]] وحده . وقال [الله [364]] تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا [365] اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ [366]) [367] (فبين أن الإيتاء لله والرسول كما قال الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [368] فإن الرسول صلي الله عليه وسلم هو الذي يبين ما أمرنا الله به وما نهانا عنه وما أباحه لنا، وأما المحتسب فهو الله وحده كما قالوا حسبنا الله [369]] ونظيره قوله تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [370] وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك ؛ إذ هذا تحقيق قولنا لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي

---

(355)المائدة 44.
(356)ساقطة من النسخة (ب).
(357)في النسخة (ب) أي يخوفكم أولياءه.
(358)آل عمران 175.
(359)النساء 77.
(360)التوبة 18.
(361)النور 52.
(362)ساقطة من النسخة (ب).
(363)في النسخة (ب) فلله.
(364)لفظ الجلالة ساقط من النسخة (ب).
(365)في النسخة (ب) حسبنا الله /كما أن الآية فيها لفظ الجلالة.
(366)ساقطة من النسخة (ب).
(367)التوبة 59.
(368)الحشر 7.
(369)ساقطة من النسخة (ب).
(370)آل عمران 173.

تألهه القلوب [بالمحبة (371)] والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف حتى قال لهم: { لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ؛ ولكن قولوا ما شاء الله ثم [ما (372)] شاء محمد } (373) { وقال [لرجل (374)]: ما شاء الله وشئت. فقال: أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده (375)} وقال: { من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت (376)} وقال: { من حلف بغير الله فقد أشرك (377)} وقال لابن عباس: { إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما أنت لاق؛ فلو جهدت [الخليقة (378)] أن تنفعك لم تنفعك إلا بشيء [قد (379)]كتبه الله لك ، ولو جهدت أن تضرك لم تضرك إلا بشيء كتبه الله عليك (380)} وقال أيضا: { لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله (381)} وقال: {اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد [من بعدي (382)]} (383) وقال:{ لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي [حيث ما كنتم (384)] فإن صلاتكم [تبلغني (385)] حيث ما كنتم (386)} وقال في

---

(371)في النسخة (ب) لكمال المحبة.

(372)ساقطة من النسخة (ب).

(373)أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الكفارات باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت ،حديث رقم 2118 سنن ابن ماجه – (1 / 685) وأخرجه الدارمي في سننه في كتاب الإستئذان باب في النهي عن أن يقول ما شاء الله وشاء فلان حديث رقم 2699 سنن الدارمي (382/2) :قال الشيخ الألباني : صحيح.

(374)في النسخة (ب) له رجل.

(375)رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس ج1 ص214.

(376)أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في كتاب الشهادات ، باب كيف يستحلف ، حديث 2482.

(377)أخرجه أبو داوود في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الإيمان والنذور ، باب من كراهية الحلف بالآباء ، حديث رقم 2829.

(378)في النسخة (ب) الخليقة علي.

(379)ساقطة من النسخة (ب).

(380)أخرجه ابن بطة في الإبانة عن ابن عباس ، باب الإيمان بأن كل مولود يولد على الفطرة و ذراري المشركين حديث رقم 1489، وأخرجه ابن بشران في الأمالي حديث 715.وقال الألباني(صحيح)انظر ظلال الجنة(125/1).

(381) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب [واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها]مريم 16حديث رقم 3261 صحيح البخاري – (3 / 1271).

(382) ساقطة من النسخة (ب).

(383) أخرجه الإمام مالك في موطأ كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة حديث رقم414وقال الألباني(صحيح) انظر مشكاة المصابيح (1 / 165).

(384) ساقطة من النسخة (ب).

(385)في النسخة (ب) تبلغني حيث ما كنتم.

(386)أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ، حديث رقم 4087.

مرضه: { لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد} يحذر ما [فعلوا [387]] قالت عائشة [رضي الله عنها [388]]: ولولا ذلك لأبرز قبره؛ ولكن كره أن يتخذ مسجدا [389]) وهذا باب واسع.

مع علم المؤمن أن الله رب كلّ شيء ومليكه: فإنه ينكر ما خلقه الله من الأسباب كما جعل المطر سببا [للنبات [390]]. [قال تعالى [391]]: (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) [392] وكما جعل الشمس والقمر سببا لما خلقه بهما وكما جعل الشفاعة والدعاء سببا لما يقضيه بذلك مثل صلاة المسلمين على [جنازة [393]] ؛ فإن ذلك من الأسباب التي [يرحم [394]] الله [الميت [395]] ويثيب عليها المصلين عليه ؛ لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور: أحدها: أن السبب المعين لا يستقلّ بالمطلوب بل لا بد معه من أسباب أخر ومع هذا فلها موانع. فإن لم يكمل الله الأسباب ويدفع الموانع: لم يحصل المقصود وهو – سبحانه – ما شاء كان – وإن لم يشأ الناس – [لا يكون [396]] إلا أن يشاء الله.

الثاني: أنه لا يجوز أن لا يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم فمن أثبت شيئا سببا بلا علم [أو بخلاف [397]] الشرع: كان مبطلا مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء.

وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم {: أنه نهى عن النذر وقال: إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل [398]}. الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن تتخذ [سببا [399]]

(387)في النسخة (ب) ما صنعوا.

(388)ساقطة من النسخة (ب).

(389)أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها في كتاب المغازي ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

(390)في النسخة (ب) لإنبات النبات.

(391)في النسخة (ب) قال الله تعالي.

(392)البقرة 164.

(393)في النسخة (ب) جنازة الميت.

(394) في النسخة (ب) يرحمه.

(395) ساقطة من النسخة (ب).

(396)في النسخة (ب) وما شاء الناس لا يكون.

(397)في النسخة (ب) أو يخالف.

(398)أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، حديث رقم 6118 وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النذر باب النهي عن النذر وأنه لا يأتي بخير.

(399)في النسخة (ب) منها شيء سببا.

إلا أن تكون مشروعة؛ فإن العبادات مبناها على التوقيف؛ فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره، وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه ، وكذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة – وإن ظن ذلك – فإن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك.

[الشريعة تراعي المفاسد والمصالح]

وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الإنسان فلا يحلّ له ذلك إذ المفسدة الحاصلة [به راجحة علي المصالح و [400]]

[الشريعة جاءت بتحصيل المصالح]

الرسول صلى الله عليه وسلم [إنما [401]] بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فما أمر الله به: [مصلحه [402]] راجحة وما نهى عنه: فمفسدته راجحة وهذه [الجملة [403]]: لها بسط لا يحتمله هذا [الموضع [404]] [والله سبحانه أعلم [405]]

[تمت قاعدة الواسطة بحمد الله سبحانه ومنه والحمد الله رب العالمين للشيخ عز الدين بن عبدالسلام تم [406]]. *

المصادر والمراجع

- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف خير الدين الزركلي ، طبعة دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة ، 1980.
- هداية العارفين ،تأليف: البابايي ،بدون طبعة.
- ذيل طبقات الحنابلة، تأليف: ابن رجب، بدون طبعة.
- سير أعلام النبلاء، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الطبعة الأولى ، 1409-1988 ، طبعة دار الرسالة.

(400)في النسخة (ب) أعظم من المصلحة الحاصلة به إذ
(401)ساقطة من النسخة (ب).
(402)في النسخة (ب) فمصلحته.
(403)في النسخة (ب) الجمل.
(404)في النسخة (ب) الورقة.
(405)في النسخة (ب) الله أعلم
(406)ساقطة من النسخة (ب)

- البداية والنهاية ، تأليف :الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير ،طبعة الأولى طبعة 1394هـ، طبعة مكتبة المعارف ،بيروت.
- مصنف عبد الرزاق ،تأليف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، الطبعة الثانية ، ،1403الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.
- مسند أحمد ، تأليف: أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، الطبعة: الثانية 1420هـ ، 1999م ،الناشر: مؤسسة الرسالة.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، للإمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق عرفات العشا حسونة ، الطبعة الأولى 1420-2000 طبعة دار الفكر.
- تيسير علوم الحديث للمبتدئين مع تدريبات عملية تعين الطالب على ممارسة هذا العلم ، تأليف عمر وعبد المنعم سليم ، توزيع دار ابن تيمية ، الطبعة الأولى 1417-1997
- كتاب الأولياء ، تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281هـ) ،تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة: الأولى ، 1413 هـ ،الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تأليف :نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي الطبعة الأولى 1412هـ ،الناشر: دار الفكر، بيروت.
- التعريفات ، تأليف السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي ، تحقيق محمد باسل السول ، الطبعة الأولى ،طبعة 1421-2000،طبعة دار الكتب العلمية.
- صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق: د. مصطفي ديب البغا ، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987 ، الناشر: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت.
- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، طبعة دار الإيمان ، الطبعة الأولى ، 2003
- الملل والنحل ، تأليف أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، تحقيق د. عبد اللطيف محمد العبد ، طبعة مكتبة الإنجلو المصرية ، الطبعة الأولى 1977
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تأليف الإمام أبي الحسن بن علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق هيلوموت ريتر ، الطبعة الثالثة ، طبعة دار النشر فرانزشتايز بي في سي بادان ، 1400-1980
- الفرق بين الفرق تأليف عبد القاهر الإسفرائيني، تحقيق :محمد عبد الحميد ،طبعة دار المعرفة
- موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والتنظيمات والحركات الإسلامية تأليف عبد المنعم الحنفي الطبعة الثالثة طبعة مكتبة مدبولي2005

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تأليف: المزي، تحقيق :بشار عواد ،الطبعة الأولى 1413هـ، طبعة مؤسسة الرسالة
- مجموع الفتاوى لأحمد بن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم طبعة مكتبة المعارف الرباط المغرب
- تذكرة الحفاظ ، ذيل طبقات الحفاظ للذهبي تأليف: أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دراسة وتحقيق: الشيخ زكريا عميرات ،الناشر: دار الكتب العلمية
- العقيدة الطحاوية تأليف علي بن أبي العز الحنفي تحقيق جماعة من العلماء الطبعة السادسة 1400هـ فوات الوفيات ، تأليف: محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.